

فعل القراءة وآلية إنتاج المعنى عند فولفغانغ إيزر

## The Act of Reading and the Mechanism of Meaning

### Production in Wolfgang Iser

\* خولة بارة

**Khaoula BARA**

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2 / الجزائر.

مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب

University Mohamed Lamine debaghine – Setif2 – Algeria

k.bara@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2021/03/30	تاريخ القبول: 2021/01/12	تاريخ الإرسال: 2020/11/04
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

حاول كل من الأستاذين (هانز روبرت يابوس) و(فولفغانغ إيزر) مؤسسا نظرية التلقي ووضعا مفاهيمها الإجرائية إعادة الاعتبار للقارئ الذي هُتمش وأهمل ردحا من الزمن في الدراسات الأدبية، مؤكداً أنّ ضمان استمرارية الأعمال الأدبية وخلودها مرهون باستقبالها من قبل المتلقي، وليس أي متلقي، بل من يستقبل النص ويقراه من جديد في ضوء معطيات جديدة، عن طريق فعل القراءة، وعليه يذهب (إيزر) إلى أنّ إنتاج معنى العمل الأدبي متوقف على القارئ، فمعنى النص ينتج من التفاعل الحاصل بين بنيات النص وفهم وتأويل القارئ.

لذا تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على آلية التفاعل بين البنية النصية للعمل الأدبي والبنية الذهنية للقارئ، وما يرتبط معه من مفاهيم وطروحات مصاحبة تساعد على إقامة عملية التفاعل، والتي طرحها (إيزر) أثناء بحثه في الآليات الإجرائية التي من شأنها تحقيق هذا التفاعل، مثل: مواقع اللاتحديد والقارئ الضمني ووجهة النظر الجوالية.

**الكلمات المفتاح:** فعل القراءة، إنتاج المعنى، فراغات، قارئ ضمني، وجهة نظر جوالية، فولفغانغ إيزر.

#### Abstract :

Both professors “Hans Robert Jaus” and “Wolfgang Iser”, the founders of the reception theory and the establishers of its procedural concepts, tried to restore consideration to the reader who was marginalized and neglected for a long of time in literary studies, and they affirmed that ensuring the continuity

\* خولة بارة: k.bara@univ-setif2.dz

and immortality of literary works depends on their receiving by the recipient, and not any recipient, but the one who receives the text and reads it again in light of new information through the act of reading. Accordingly, Iser argues that the production of the meaning of the literary work depends on the reader, so the meaning of the text results from the interaction between the structures of the text and the understanding and interpretation of the reader. Therefore, this study seeks to highlight the mechanism of interaction between the textual structure of literary work and the mental structure of the reader, and the associated concepts and accompanying theses that help to establish the interaction process which was put forward by *Iser* during his research in the procedural mechanisms that would achieve this interaction, such as gaps, the implicit reader, and the wandering viewpoint.

**Keywords:** Act of Reading, production of meaning, gaps, implied reader, wandering viewpoint, Wolfgang Iser.



#### مقدمة:

بدأت معالم نظرية التلقي بالظهور من خلال جهود قطبين فاعلين من أقطاب مدرسة كونستانس *Constance* الألمانية وهما الأستاذين (هانز روبرت يابوس *Hans Robert Jaus*) و(فولفغانغ إيزر *Wolfgang Iser*)، وذلك في الستينيات من القرن العشرين، وهذه المدرسة ارتبطت ارتباطا وثيقا بنظرية التلقي، حتى أضحت ذكر واحدة منهما يقتضي ذكر الأخرى، هذه النظرية أعادت بناء تصور جديد للعملية الإبداعية إذ تميزت عن غيرها من النظريات والمناهج السابقة لها بجعل السلطة بيد القارئ دون منازع وإقحامه في العملية الإبداعية، وجعلت منه مركز الاهتمام بعدما كان عنصرا ثانويا، إذ كانت السلطة بيد المؤلف ردحا طويلا من الزمن وذلك مع المناهج النقدية السياقية، فقد كان "المؤلف هو مركز التأويل والموجه للقراءة والفهم والتفسير (...)" لذلك ظهرت دراسات ومقاربات جعلت منطلقها هو المؤلف<sup>1</sup>، وكذلك ما قالت به المناهج النسقية النصانية التي نقلت مركز الاهتمام إلى النص بعدما كان منصبا حول المؤلف حيث "ظهرت مفاهيم أخرى منذ الشكلايين الروس، كردة فعل إزاء سلطة المؤلف فطالب النقد الجديد في فرنسا والبنوي عامة بموت المؤلف والاهتمام بمفهوم آخر وهو مفهوم «النص» و«بالكتابة»، لأنّ المؤلف في نظر هذا التصور يُغيب المادة الأساسية للأدب وهي الكتابة أو النص<sup>2</sup>، وهنا لا يُقصد حذف المؤلف تماما وإنما إزاحته عن المركز، لأنّ وظيفته تنتهي بإنهائه

لنصه، فهو حسب هذا الاتجاه لا يتعدى دوره دور الناسخ "ولعل التركيز على النص هو الذي سيؤدي إلى افتراضات أولية حول القراءة في علاقتها مع الكتابة"<sup>3</sup> وهذا ما ذهب إليه (بارت Barthes) في قوله: «موت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القراءة»<sup>4</sup>، فالنص حسبه نسيج من العلاقات الداخلية، وهو يُعبّر عن نفسه وليس عن المؤلف، والقارئ يفك رموزه وبنيته فيضيف عليه حياة جديدة يموت معها المؤلف ويولد القارئ، فميلاد القارئ رهين بموت المؤلف، وبذلك تُستبعد الذات المبدعة (المنتجة) عن المركز.

"وإذا كانت الدراسات البنيوية قد اهتمت بالنص وبمكوناته، فإنّ أهم مكون قد أثارته دون أن تنقف عنده أو تُنظر له، كما فعلت للمكونات النصية الأخرى، هو القارئ أو القراءة، وعلاقة النص بالقارئ والتفاعل بينهما وغير ذلك في القضايا التي يثيرها قطب القراءة في النص"<sup>5</sup>، ومن هنا ينقلب مركز الاهتمام من النص - وذلك مع البنيوية - إلى القارئ مع الاحتفاظ بالعلاقة التفاعلية بينهما، وسيكون لنظرية التلقي الفضل والدور الكبير في تبني هذه القضية والتنظير لها - إذ أقحمت القطب الثالث ألا وهو المتلقي في العملية الإبداعية - وفيها تم تجاوز تلك العلاقة القائمة بين المبدع والمتلقي على أنّ الأول منتج والثاني مستهلك، إلى العلاقة التفاعلية بين المتلقي والنص، إذ حصرت العملية الإبداعية بين الثنائية (القارئ / النص)، وبهذا أضحت الذات المدركة هي من تشكل معنى النص الأدبي وتحدد جماليته.

إنّ نقل مركز الاهتمام إلى الذات المدركة وعلاقتها التفاعلية مع النص هو ما سعت إليه نظرية التلقي مقدمة بذلك "فرضيات نظرية وصياغة مفاهيم ومصطلحات تقود صيرورة التلقي في مستواه الذاتي والجمالي والتاريخي"<sup>6</sup>.

وعلى هذا فإنّ نظرية التلقي كأحد النظريات ما بعد الحداثيّة جاءت لتهمم بأحد أقطاب العملية الإبداعية في علاقته مع النص وهو المتلقي، وقد قدمت فرضيات ومقولات من أجل ترسيخ وتعزيز طروحاتها وأفكارها، حيث حاول (إيزر Iser) أحد رواد النظرية ومؤسس فرضياتها من خلال طروحاته النظرية ومفاهيمه الإجرائية المتعلقة بفعل القراءة وبناء المعنى في إطار التفاعل والاندماج الحاصل بين معطيات البنية الذهنية وتفاعلها مع بنية النص، الإجابة عن "أسئلة تتعلق بموقع دور القارئ في عملية القراءة وما هي وظيفة النص في حد ذاته. وما هي دلالة التفاعل بين

النص والقارئ، وكيف يصنع القارئ المعنى في سياق هذا التفاعل؟ وما هي الحدود بين الحقيقة والتأويل والوهم في مجموع هذه العملية؟ وما هي في الأخير شروط عملية التفاعل ذاتها؟<sup>7</sup>.

وللإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا أن نسلط الضوء على مقولات (إيزر Iser) ومفاهيمه الإجرائية التي قدمها لترسيخ أفكار نظرية التلقي وهي:

**فعل القراءة وبناء المعنى:** يقصد (إيزر Iser) بفعل القراءة ذلك التفاعل الحاصل بين القارئ والنص وهو عملية اتصال تسير في اتجاهين: من النص إلى القارئ ومن هذا الأخير إلى النص على خلاف ما قال به (إنغاردن Ingarden) أنّ العملية تكون في اتجاه واحد وهي من النص إلى القارئ، وهذه القراءة الجدلية التفاعلية التواصلية هي القراءة المنتجة التي يتم من خلالها الاتصال بين النص والقارئ، في عملية جدلية من خلال سيرها في مسارين مرتبطين ارتباطا تلازميا، إذ "تتحرك عملية القراءة على مستويات مختلفة من الواقع، واقع الحياة، واقع النص، واقع القارئ، ثم أخيرا من خلال واقع جديد لا يتكون إلا من خلال التلاحم الشديد بين النص والقارئ، عندئذ تكون القراءة قد أدت دورها لا من حيث أنّ النص قد أُستقبل، بل من حيث أنّه أثر في القارئ"<sup>8</sup>، ففعل القراءة لا يتحقق من كون النص قد أُستقبل فحسب بل يتحقق بفضل التفاعل الحاصل بين النص وقارئه، هذا التفاعل الذي يتمخض عنه نص جديد هو إبداع ثان، عن طريق كيفية التأثير التي تكون من خلال استجابة الذات المدركة (الذات الواعية /الذات القارئة) لنداء النص وما يقوله، فالقراءة "ممارسة نقدية تتم من خلال تفاعل الذات (القارئ) مع الموضوع (مادة القراءة). والمقصود بمادة القراءة جميع الخطابات الثقافية، ومنها بشكل خاص الخطاب الأدبي. وتتمخض العملية التفاعلية عن مولود / إنتاج جديد يشكل ثمرة ذلك اللقاء الحميمي أو التصادمي بين القارئ والنص"<sup>9</sup>.

وإخراج النص من عالمه المجرد إلى عالمه الملموس هو أساس فعل القراءة القائم على التفاعل بين النص والقارئ، إذ إنّ التقاء هذين الأخيرين هو من يخرج النص الأدبي إلى الوجود، فالعمل الأدبي عند (إيزر Iser) لا يُقصد به النص إلا بعد تحقّقه وتجسده من خلال تفاعله مع القارئ، فوجوده متوقف على مدى إحساس القارئ به، أي على مدى ما يحدثه من تأثير في المتلقي، وفكرة الحصول على المعنى من النص في حد ذاته فكرة مستبعدة كليا لدى أصحاب نظرية التلقي، فلا تُعدّ النصوص كبنيات تقدم المعنى جاهزا للقارئ في نظرهم، بل تقترح أبنية لتوليد المعاني وليس

لهذه المعاني وجود حقيقي خارج إدراك القارئ، لأنّ النص كتابة سلبية يتحوّل إلى كتابة إيجابية من خلاله أو بفضلها "فالنص ذاته لا يقدم إلا مظاهر خطاطية يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنص، بينما يحدث الإنتاج الفعلي من خلال فعل التحقق، ومن هنا يمكن أن نستخلص أن للعمل الأدبي قطبين قد نسميهما: القطب الفني، والنقدي الجمالي، والأول هو نص المؤلف، والثاني هو التحقق الذي ينجزه القارئ"<sup>10</sup>، أي التفعيل الذي ينجزه القارئ، والمقصود من التحقق هنا هو اكتشاف الذات المدركة لنفسها في صورة جديدة من خلال معايشة النص وربط علاقة فعلية معه تتسم بصفة الجدلية عن طريق عمليتي الإصغاء والتساؤل لتخريج نتاج أدبي جديد، وعليه فإنّه "لا ينبغي البحث في النص عن المعنى المخبوء، وإنما ينبغي استطلاع ما يعتمل في نفس القارئ عندما يقرأ، أي الأثر الذي يحدث نتيجة تفاعل القارئ مع ما يقرأه، وهو إذ يقرأ فإنما يقرأ على هدى من النص، وإرشاد الترسيمات التي يوفرها له والتي تتكفل القراءة بتنفيذها. فهو إذن قارئ مُدّر في بنية النص ذاته"<sup>11</sup>، وهكذا فالنتاج الأدبي لا يمكن أن يتطابق مع النص الأصلي - ذلك النسيج اللغوي الذي قدمه لنا المؤلف في قالب شعري أو نثري معين - ولا مع القراءة، وإنما يكمن في ذلك الأثر الناتج عن التفاعل بين بنيات النص والبنية الذهنية للذات المدركة. ومن هنا فالأثر الأدبي لا سبيل لتحقيقه إلا من خلال تجاوب النص وتفاعله مع القارئ الذكي الذين يخلق المعنى عن طريق مخاطبة النص والدخول معه في حلقة تواصلية، وبناء علاقات تفاعلية مع بنياته السطحية والعميقة، للمشاركة في بلورة معناه عن طريق كشف الغامض المستتر من خلال الواضح المكشوف، فبقدر ما يرتبط القارئ بالنص ويتعمق فيه بقدر ما يزداد المعنى في التبلور، وهكذا "يحدث الأثر حينما يبدأ القارئ في التعرف على ما يعرفه، حينما يسלט الضوء على ما لم يقدر المؤلف أو لم يشأ قوله، حينئذ تصبح القراءة بحق الأداة التي من خلالها يحقق الوعي ذاته، والمقصود بالوعي في هذا المقام وعي الذات المفكرة أو الذات القارئة التي تستجيب لنداء النص، وبذلك تتحقق عملية القراءة بكل أبعادها"<sup>12</sup>.

إذن فالقراءة "تفاعل بين موضوع النص والوعي الفردي للذات القارئة، ومن هذا التفاعل تنتج دلالة النصوص التي هي مفتوحة قابلة لمستويات متعددة من القراءة"<sup>13</sup>، فتشكل النص في وعي القارئ يساهم في بناء معناه على مستويات معرفية متعددة، والأثر الأدبي "لا يكتب ولا يبرز

للموجود إلا موصولاً بالقراءة، إذ القارئ هو الذي يخرج بالأثر من حيز الوجود بالقوة إلى حيز الوجود بالفعل (...). إنَّ النص نداء، وإنَّ القراءة تلبية للنداء<sup>14</sup>.

وقد قدّم (إيزر Iser) مجموعة من المفاهيم الإجرائية في طروحاته التي تتضمن تحقيق فعل القراءة من بينها: الفراغات أو مواقع الالتحديد والقارئ الضمني ووجهة النظر الجوالية.

**1- الفراغات أو مواقع الالتحديد:** من أهم المفاهيم التي تبرز دور القارئ في عملية التفاعل عند (إيزر Iser) مفهوم (الفراغات أو مواقع الالتحديد)، إذ التفاعل والتجاوب القائم بين النص والقارئ يجعل من هذا الأخير يقوم بدور فعال وإيجابي في إعادة إنتاج المعنى فكل "قارئ مؤلف جديد للنص، وكل قارئ يحمل معه تجربة معرفية تغني النص، أو تعيد إنتاجه من جديد"<sup>15</sup>، وهذا التفاعل ينتج عن تقنية فنية في بنية النص تُعرف بـ: الفجوات أو مواقع الالتحديد، وهذا الطرح أخذته (إيزر Iser) عن (إنغاردن Ingarden) الذي يرى أنّ "السمة المميزة لكل عمل فني من أي نوع كان، هي أنّه ليس من صنف الشيء الذي يكون محمداً تماماً من كل جهة (...). وهذا يعني بعبارة أخرى أنّ العمل الفني ينطوي في باطنه على فجوات مميزة له تدخل في تعريفه، أي على مواضع الالتحديد، إنّه إبداع تخطيطي، وعلاوة على ذلك، فإنّ كل تحديدهات ومكوناته أو كفاءاته تكون في حالة تحقق فعلي، ولكن بعضاً منها يكون كامناً فقط"<sup>16</sup>، ولكي يكتسب النص وجوده وكيونته ويصبح كياناً متحققاً للعيان، فإنّ ذلك يتطلب عاملاً آخر يوجد خارج ذات النص وهو القارئ، الذي يتكفل ببناء معنى النص من جديد، بحيث تثير هذه الفراغات الموجودة في النص في نفس المتلقي ضرورة ملئها "فالاتصال ينتج عن حقيقة وجود فجوات في النص تمنع التناسق الكامل بين النص والقارئ، وعملية ملء هذه الفجوات أثناء عملية القراءة هي التي تبرز وجود الاتصال، إذ إنّ الفجوات وضرورة ملئها تعمل كحواجز ودوافع لفعل التكوين الفكري"<sup>17</sup>، فعناصر الالتحديد هي التي تحقق التواصل مع القارئ، وملئه لهذه الفراغات يكون بذلك قد أعطى دلالات عدة للنص، فأثناء قيام العلاقة الحوارية بين النص والقارئ تلعب مواقع الالتحديد في النصوص دوراً أساسياً في دفع القارئ وتحفيزه "إنّما تحدث ذلك الاضطراب في ذهن القارئ الذي يفجر نشاطه المكون، هذا النشاط الذي لا يمكنه أن يهدأ إلا بإنتاج الموضوع الجمالي"<sup>18</sup>، إذ النص عند (فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser) عبارة عن "شيء مليء بالثقوب والفجوات، يُكلّف القارئ وحده برتقها، وفجوات يقوم القارئ وحده بملئها"<sup>19</sup>.

إنّ الفراغات والفجوات أو كما تُعرف بالبياضات ومواقع الالتئيد واللاحسم هي تلك المواقع الغامضة المبهمة وغير المحسوم أمرها في النص تستدعي من القارئ أن يملأها عن طريق تحفيزها له، وهو بذلك يكون المسؤول عن إعادة إنتاج المعنى، إنّها بمثابة المساحة التي يعمل فيها القارئ داخل النص، ومن هنا يتضح أنّ (إيزر Iser) أولى عناية خاصة للقارئ وأعطى له أهمية كبيرة في إعادة خلق النص من جديد، وهذا من خلال إدراكه للأجزاء المسكوت عنها في ذلك النص والتي قد تكون جاءت عن قصد أو عن غير قصد من المؤلف. فلكني يكون القارئ مشاركا في إنتاج المعنى وتشكيله لا بد من وجود مواقع اللاحسم في النص، فيأخذ القارئ دور الحاسم فيها وملء فراغاتها بالاستعانة بما هو معطى في بنية النص، وهكذا يدخل في عملية تواصلية حوارية مع النص، لذا "أعلنت نظريات التلقي من شأن القارئ، وحوالته من خاضع للنص إلى سيد عليه يفسره، أو يعيد كتابته، أو يؤوله كما يشاء"<sup>20</sup>، وهذا من خلال كفاءته وقدرته على محاورة النص واستنطاقه.

كما أنّ ملء الفراغات وسد الثغرات الموجودة في النص من قبل المتلقي أمر متغير باستمرار ذلك أنّ الاستمرار في القراءة دائما يقدم له الجديد مما يجعله يصحح ويغير حسب تفاعله مع النص و"الفراغات هذه والفجوات عظيم الأثر على تكوين المعنى"<sup>21</sup>، ملء المواقع غير المحددة في النص تكون من خلال عملية الإدراك والتعاون والمشاركة في بناء المعنى وبهذا تتحقق القيمة الجمالية للأعمال الأدبية، ف (إيزر Iser) يرى "أنّ المؤلف في حاجة مباشرة إلى التعاون مع القارئ المدرك للإبداع، كما يرى أنّ النصوص الأدبية تحتوي دائما على فراغات لا يملؤها إلاّ القارئ"<sup>22</sup> الفعلي أو المتميز، فيأتي "بناء النص بغموضه المتعمد وبفراغاته التي يضعها الكاتب فيه منتظرا من القارئ أن يملأها، وبتلك الدعوات التي توجه للقارئ حتى يتعامل مع النص تعاملًا جماليًا"<sup>23</sup>، فمن يوجه القارئ عبر فعل القراءة إلى بعض النقاط التي يروم المؤلف التركيز عليها وتسلط الضوء عنها عوض أخرى هو النص وحده، الذي يصبح بمقدوره فرض شروط تلقيه وبناء معناه، والتي من خلالها يتولد المعنى باختلافاته العديدة تبعا لتعدد القراءات وتنوعها لنص واحد من قبل قراء عدة، وبذلك يكون للمتلقي الدور المحوري في الفهم والإدراك والكشف عن معنى النص من خلال المساهمة في ملء الفراغات النصية التي يكشفها، أو بالأحرى المقدمة له والموجودة في البنية النصية،

هذه البنيات مكيفة لإدماج القارئ وإقحامه في النص لإعادة بنائها من جديد وفي صيغة جديدة طبقاً للمعطيات التي قدمها النص.

إذن فالقراءة "هي إعادة إنتاج للنص من خلال فراغات الكتابة الموجودة فيه، ومن المساحات البيضاء التي تولدها هذه القراءات"<sup>24</sup>.

والحديث عن الفراغات يسوق إلى السؤال الآتي: "إذا كان النص الفني يغتني كلما كثرت فيه

الفراغات والفجوات إفساحاً لدور القارئ فما الذي يقدمه النص أصلاً؟

يقترح (إيزر Iser) أنّ العمل الأدبي لا يقدم إلاّ استراتيجيات وخططات وتوجيهات تمثل إضاءات يهتدي بها القارئ لبناء معنى النص"<sup>25</sup>، فالنص يُنظّم وفق إستراتيجية معينة، تقوم بتقديم بعض الإمكانيات التنظيمية التي توجه القارئ أثناء عملية القراءة وتمكنه من تفعيل النص.

**2- القارئ الضمني:** لا يمكن أن نعزل فعل القراءة عن مفهوم آخر أساس لدى (إيزر Iser)

وهو مفهوم (القارئ الضمني) والذي خصص له كتاب باسمه يضم مقالات عن فن القص النثري، لكنه حدّد مفهومه على نحو أيسر في كتابه [فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب] بقوله: «هو بنية نصية، تتوقع حضور متلقٍ دون أن تحدده بالضرورة: إنّ هذا المفهوم يضع بنية مسبقة للدور الذي ينبغي أن يتبناه كل متلقٍ على حدة»<sup>26</sup>، والذي من خلاله يمكن أن تتبين لنا كيفية ارتباط القارئ بالعالم الداخلي للنص وكيف يمارس هذا الأخير تعليماته وتوجيهاته وتأثيراته التي تتحكم في بناء القارئ للمعنى النصي<sup>27</sup>، فهو بنية مصاحبة - يتوقع بها النص مشاركة القارئ والكيفية التي يوجه بها هذه المشاركة - من أول قراءة يقوم بها مستكشفاً البنى النصية، إلى آخر نسيج يستقر عليه، أو هدف يروم نيله، بحيث يساهم في خلق وتأطير التفاعل بين بنيات النص والبنية الذهنية للذات المفكرة، إنّ القارئ المسجل داخل النص - كل كاتب أو مؤلف يفترض قارئ معين يكتب له - وهذا القارئ من وجهة نظر (إيزر Iser) يمثل محور عملية القراءة وهو لا يتطابق مع أي قارئ حقيقي، إذ يرى أنّ هؤلاء القراء عاجزين وغير قادرين على التفاعل مع النصوص، "فالقارئ الضمني كمفهوم له جذور متأصلة في بنية النص، إنّ تركيبه لا يمكن بتاتا مطابقته مع أي قارئ حقيقي"<sup>28</sup>، والقارئ الضمني عند (إيزر Iser) موجود قبل بناء المعنى الضمني في النص وهو يتميز عن غيره من القراء بكونه تابع ومتحذر في النص، فبنية النص في حد ذاتها تفترض وجوده حيث يتشكل من خلال شبكة معينة من البنى المثيرة التي تجعل القارئ مشدوداً لفهم ذلك النص "إنّ



القارئ المفترض الذي يضعه المؤلف في حسبانته وهو يدع<sup>29</sup>، ذلك القارئ الذي يخلقه النص كما ذكرناه سابقا فليس له أي أساس في الواقع، فهو "قارئ لا وجود له ماديا، يفترضه الكاتب لا شعوريا"<sup>30</sup>، فيكون موجودا في نية الكاتب عند شروعه في كتابة نصه، حيث يظهر ويتجلى في أثر النص، و(إيزر Iser) يرى في هذا القارئ، القارئ الكفاء القادر على التفاعل مع النص، قارئ يضعه المؤلف نصب عينيه وهو يكتب نصه، بوضعه مجموعة من التوجيهات الداخلية تعمل على جعل تلقي القارئ للنص ممكنا، فالكاتب يتخيل قارئ يقرأ الذي يكتبه هذا المؤلف، فيضع هذا الأخير أحداث وفجوات ويتصور كيفية تلقي القارئ الذي سيقراً نصه لهذه الأحداث وكيف يملأ تلك الفجوات، كيف يقوم بعملية التفسير والتأويل، فالقارئ الضمني ليس قارئاً حقيقياً ولا قارئاً فعلياً، بل إنّه قارئ متخيل يتصوره الكاتب أثناء كتابته لنصه، وهو يختلف كلياً عن القارئ الفعلي الذي يعد أساس نظرية التلقي، الذي يستعين بتجاربه ويستخدم خبراته عند قراءته للنص لتكوين صورة ذهنية أثناء القراءة، بإعمال ذهنه وخياله لإعانة على اكتشاف دلالات النص وتأويله وتفسيره تفسيراً جمالياً، وهذا ما سعى (إيزر Iser) للوصول إليه، وهو قارئ صاحب قدرة أدبية يصل لدرجة الناقد الخبير، ومهمته تكمن في البحث والتنقيب وإعمال الفكر... وهذا ما يجعل منه مشاركا أساسيا في صنع المعنى.

**3- وجهة النظر الجوّالة:** هناك قضية يجب التعرّيج عليها تتمثل في الطريقة التي يدرك بها القارئ النص، فألاهم بالنسبة ل (إيزر Iser) ليس المعنى ذاته، بل هو ما يتولد وينشق من عملية التفاعل القائمة بين النص ومتلقيه، من خلال الطريقة التي يتم بها إدراك هذا المعنى، إذ يرى (إيزر Iser) أنّ القارئ يتحول في النص ولا يمكنه فهمه وإدراكه دفعة واحدة، لأنّ الموضوع الجمالي الذي يتشكل في ذهن المتلقي لا يمكن تخيله "إلا من خلال المراحل المختلفة والمتتابعة للقراءة"<sup>31</sup>، جزءاً بجزء ومن خلال هذه المتابعة تتم عملية بناء معنى وهدمه، لبناء معنى جديد فهي "تتيح للقارئ أن يسافر عبر النص (...). كاشفاً بذلك المنظورات التي يترابط بعضها مع بعض، والتي تُعدّل كلما حدث انتقال من واحد منها إلى آخر"<sup>32</sup>، كما تسمح للقارئ بأن يتحرك خلال النص وتمكنه من الترجمة والنقل إلى ذهنه الخاص فيعدل من المعنى أثناء فعل القراءة.

وعلى هذا فإنّ "وجهة النظر الجوّالة هي وسيلة من وسائل وصف الطريقة التي يكون بها القارئ حاضراً في النص. ويقع هذا الحضور عند نقطة التقاء الذاكرة والتوقع، وتحدث الحركة

الجدلية عن ذلك تعديلا متواصلًا للذاكرة وتعقيدا متزايدا للتوقع<sup>33</sup>، وتعديل هذه التوقعات باستمرارية، تتحقق وحدة النص وتماسكه وتحديد معناه، ويحدث هذا التغيير عبر سيرورة التأويل. وتحول وجهات النظر لا تجسد علاقة الذات بالنص بل تجسد علاقة الذات بنفسها، لأنّ الذات المؤولة في أثناء سيرورة التأويل تسعى دائما إلى تغيير وجهات نظرها، وبهذا فإنّ وجهة النظر الجوالّة تعبر عن سعي الذات إلى الوعي بنفسها من خلال وعيها بالنص. ولكي يصوغ المتلقي موضوعه الجمالي فإنّ وجهة نظره الجوالّة لا تتوقف عن التحول والترحال والسفر في فضاء النص الذي يتكون من مجموعة من المراحل "كل مرحلة على حدةٍ تحتوي على مظاهر الموضوع الذي ينبغي تشكيله، لكن لا يمكن لأي منها أن تدّعي بأنّها تمثله، وبالتالي لا يمكن للموضوع الجمالي أن يكون مطابقا مع أي واحد من تمظهراته أثناء مدة القراءة، ويستلزم النقص الموجود في كل تمظهر على حدة، وجود بعض التراكيب التي تعمل بدورها على نقل النص إلى وعي القارئ، ومع ذلك فإنّ عملية التركيب ليست متقطعة بل متواصلة خلال كل مرحلة من مراحل رحلة وجهة النظر الجوالّة"<sup>34</sup>.

يتدرج فعل القراءة شيئا فشيئا حتى يصل إلى الفهم، بانتقال القارئ أثناء تفاعله مع النص من مرحلة إلى أخرى وهو يتمازج مع بنيات النص ويقوم في كل لحظة من اللحظات بتوجيه ما استقر في ذهنه في لحظة سابقة بواسطة ما يقدمه النص من معطيات جديدة، "وهكذا فكل لحظة من لحظات القراءة هي جدلية ترقب وتذكر، تُعبّر عن أفق مستقبلي، هو في حالة انتظار أن يُجتلّ بحاله، وكذلك تُعبّر عن أفق ماضٍ (يضمحل باستمرار) وقد مُلئ سابقا؛ وتشق وجهة النظر الجوالّة طريقها عبر الأفقين معا في آن واحد، وتتركهما يندمجان معا خلفها، ولا مفر من هذه العملية، لأنّ النص (...) لا يمكن فهمه بكامله في لحظة واحدة من اللحظات"<sup>35</sup>، كما ذكر سابقا، ويمكن فهم وجهة النظر الجوالّة على نحو أفضل من خلال النظر فيما سماه (إيزر Iser) جدلية (التوقع والتذكر) وهذان المصطلحان يشيران إلى التوقعات المعدّلة والذكريات المؤولة والتي يحصل بينها تفاعل أثناء سيرورة عملية القراءة، فكلمة تقدم القارئ في القراءة بمضي قدما في تقويم الأحداث وإدراكها وفقا لتوقعاته المستقبلية، وعليه فعند حدوث شيء غير متوقع من شأنه أن يجعل القارئ يعيد صياغة توقعاته وفقا لهذا الحدث، ويعيد تفسير المعنى الذي نسبه إلى ما سبق وقوعه، وهنا يبرز النشاط الإبداعي للقارئ المنهمك في إنتاج المعنى والمساهم في تحقيق الوقوع

الجمالي من خلال محاولته إقامة علاقات بين وحدات النص وربط بعضها ببعض حتى تتسم بصفة التماسك في نشاطها، عن طريق مبدأ التآلف، بحيث يعيد للأشياء تآلفها بعدما كانت عكس ذلك.

#### الخاتمة:

من خلال ما تقدم ذكره والتطرق إليه يمكن أن نخلص إلى جملة من النتائج و التوصيات التي تم التوصل إليها، نذكر منها:

#### 1- النتائج:

- أنّ نظرية التلقي من أهم نظريات ما بعد الحداثة التي أعادت الاعتبار للقارئ كشريك في العملية الإبداعية.

- إنطلق (إيزر Iser) من نقطة مهمة مفادها كيف يتكوّن معنى النص لدى المتلقي، والمقصود هو المعنى الذي ينشأ من خلال التفاعل القائم بين النص والقارئ، من خلال ثقافة هذا الأخير وخبراته ومستواه المعرفي، فالنص الأدبي عنده هو التحام بين النص ومتلقيه، والأثر الأدبي لا يكتب وجوده الفعلي إلا بفعل هذا التلاحم.

- يرى (إيزر Iser) أنّ كل نص يحتوي على فراغات يتكفل القارئ بملئها من خلال مخيلته وثقافته وخبرته وتجاربه وما يقدمه النص من معطيات للربط بين أجزائه ومن هنا تتم عملية التفاعل بين القارئ والنص، ويبرز دور القارئ الفعّال في خلق النص.

- مفهوم القارئ الضمني عند (إيزر Iser) يجسد فكرة التحول في مفهوم التلقي، من الاهتمام بالمؤلف إلى الاهتمام بالقارئ، فهذا الأخير لم يعد تلك الذات السلبية، بل أضحي ذاتا فاعلة مشاركة في إنتاج المعنى.

- النص الأدبي لا يمكن إدراكه دفعة واحدة، بل تتم عملية الإدراك هذه عبر مراحل يتكون خلالها تكوّن المعنى.

#### 2- التوصيات:

- ضرورة مناقشة قضايا كيفية إنتاج المعنى من خلال الاستفادة من جهود (فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser) التنظيرية والإجرائية في الدراسات التطبيقية للنصوص الأدبية.

- ضرورة تكثيف وتعزيز الدراسات حول القارئ / المتلقي، وأهميته في إعادة إنتاج المعنى بفكده لشفرات النص وسدده للثغرات الموجودة فيه، من خلال عملية الإدراك التي تتم عبر مراحل مختلفة.

### هوامش:

- 1 أحمد بوحسن: نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، ضمن كتاب: (نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (المغرب)، 1970م، ص: 16.
- 2 المرجع نفسه، ص: 16، 17.
- 3 المرجع نفسه، ص: 17.
- 4 رولان بارت: نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، المركز الحضاري العربي، (بيروت - لبنان)، ط1، 1994م، ص: 25.
- 5 أحمد بوحسن: نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، ص: 17.
- 6 المرجع نفسه، ص: 18.
- 7 فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة: حميد حميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، (فاس - المغرب)، 1995م، ص: 07.
- 8 ينظر: عصام شترج: الشعرية بين فعل القراءة وآلية التأويل - دراسة في التلقي والتأويل الجمالي، دار الخليج، (عمان)، 2017م، ص: 56.
- 9 المصطفى عمراني: مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي روايات غسان كنفاني نموذجاً، عالم الكتب الحديث، (إربد - الأردن)، ط1، 2011م، ص: 29.
- 10 فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص: 12.
- 11 محمد خرماش: فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات، المغرب، العدد 10، 1998م، ص: 35.
- 12 مليكة دحامية: القارئ وتجربة النص، مجلة الخطاب، جامعة مولود معمري - تيزي وزو / الجزائر، المجلد 3، العدد 3، 2008م، ص: 131.
- 13 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، (دمشق)، ط2، 2009م، ص: 217.
- 14 المصطفى عمراني: مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي روايات غسان كنفاني نموذجاً، ص: 30.
- 15 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، ص: 217.
- 16 سعيد توفيق: الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (بيروت)، ط1، 1992م، ص: 340.

- 17 ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء - المغرب)، ط3، 2002م، ص: 287.
- 18 فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص: 107.
- 19 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية، ص: 218.
- 20 المرجع نفسه، ص: 221.
- 21 ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص: 287.
- 22 عبد الناصر حسن محمد: نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (القاهرة)، 1999م، ص: 93.
- 23 المرجع نفسه، ص: 67.
- 24 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث - رؤية إسلامية، ص: 220.
- 25 محمد إقبال عروي: مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي، مجلة عالم الفكر، المجلد: 37، العدد 3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير - مارس 2009م، ص: 61.
- 26 فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص: 30.
- 27 ينظر: عبد الكريم شرقي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف، (الجزائر)، ط1، 2007م، ص: 185.
- 28 عبد الناصر حسن محمد: نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، ص: 30.
- 29 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، ص: 229.
- 30 المرجع نفسه، ص: 228.
- 31 فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص: 57.
- 32 روبرت هولب: نظرية التلقي مقدمة نقدية، ترجمة: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، (القاهرة)، ط1، 2000م، ص: 143، 144.
- 33 فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ص: 69، 70.
- 34 المرجع نفسه، ص: 58.
- 35 المرجع نفسه، ص: 61.